

حرف الكاف

١٧٢ - الكمال أبو البركات بن أبي زيد المكناسي.

حاله: عالم فاضل جليل قدوة كبير شهير نبيل وناهيك بمن روى عنه الحافظ العسقلاني وأجازه مكاتبة بحديث المصافحة، قال في الإصابة في القسم الرابع من الجزء الثالث في حرف الميم في ترجمة المَعْمَر: أخبرنا الكمال أبو البركات بن أبي زيد المكناسي إجازة مكاتبة قال صافحني والدي وقد عاش مائة قال صافحني الشيخ أبو الحسن علي الخطاب بالحاء المهملة بمدينة تونس وعاش مائة وثلاثين سنة قال صافحني الشيخ أبو عبد الله الصقلي وعاش مائة وستين سنة قال صافحني أبو عبد الله المعمر وكان عمره أربعمائة سنة قال صافحني رسول الله ﷺ ودعا لي وقال عمرك الله يا معمر ثلاث مرات^(١).

قال الحافظ هذا المعمر شخص اختلق اسمه بعض الكذابين من المغاربة وهو من جنس رتنّ الهندي^(٢)، قال: وقد بسطت ترجمة المعمر بالتشديد في لسان الميزان^(٣).

مشيخته: أخذ عن والده أبي البركات وغيره.

الآخذون عنه: منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره.

١٧٢ - تحرف في المطبوع إلى: «الكمال بن أبي البركات» وصوابه من الإصابة ٦/٣٦٨.

(١) الإصابة ٦/٣٦٨.

(٢) الإصابة ٦/٣٦٨ - ٣٦٩.

(٣) انظر في ذلك: لسان الميزان ٧/١٠.

١٧٣ - الكامل بن عبد الله بن الطاهر بن محمد.

ابن الطاهر بن محمد بن عبد الواحد بن العربي بن محرز بن علي بن يوسف بن علي الشريف بن الحسن بن محمد بن حسن القادم من الحجاز بن قاسم ابن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة ابن علي بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم ابن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول بنت رسول رب العالمين، خاتم النبيين مولانا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وحزبه.

حاله: علامة حافظ، لافظ مشارك، دراجة نقاد، متضلع مطلع، فصيح حسن العبارة، واسع العارضة، ذو حفظ عجيب، ومهارة في تنظيم الدروس وترتيبها، وتلخيص المسائل وتصويرها بأبسط عبارة، ومزيد بيان وفصاحة وبلاغة، وذلك مما كان يزيده رحمه الله طلاوة ورونقا، له معرفة بالطب، كريم الأخلاق والسجايا، جامع لأصناف المزاي، مدرس نفاع له اعتناء تام بالكتب شراء ومطالعة، عين للمطالعة أوقاتا لا يتخلف عنها إلا لمانع عظيم الهمة، لا يدخل كتابا لخزائنه إلا بعد مطالعته وتوقيفه والكتابة عليه، كبير الاعتقاد في الصالحين، محب في العلم وأهله، معظم للمتسبين إليه، كثير النوافل متبتل ذاكر، تام المروءة، حسن السمات والهيئة مبالغ في جمال الشارة والبزة، مستدع للأبهة، أبي النفس جواد بشوش لا تساوى عنده زهرة الدنيا قلامة ظفر، مسبل أذيال العفة، بعيد عن الريب، متمسك بعري النزاهة، رفيع العماد، واسع الناد، كريم المائدة، عظيم الفائدة.

وكان من جملة جلة أعلام الحديث بالمجالس السلطانية، وكان لا يخوض مع الخائضين في معانيها تأدبا وأنفة من الجدال والمرء، ويتناقص حيث كان جل

تلك المذاكرات مبنية على العناد والتعصب، وكان السلطان يكره تناعسه وسكوته فأوعز لحاجبه أحمد بن موسى المترجم فيما سلف إخراج المترجم من حلقة المجلس إذا خاض الأعلام في ميدان المباحثة إذا تمادى على سكوته، فلم يسعه إلا امتثال ما أمر به، ثم بعد طرق السبيل الموصل للإشراف على السبب في ذلك وتحقق أنه لا ذنب له غير سكوته، وأن السلطان يعلم اقتداره على القبول والرد، وأنه إنما رشحه لحضور مجالسه للمباهاة به إذ كان صهره ومن أعلام عائلته الكريمة، ثم تشفع فيه فعاد للحضور كما كان، وصار يقرط الأذان بدرر فرائد الفوائد وفق المراد منه.

استوطن مكناسة الزيتون مدة ودرس بجامعة العتيق، وانتفع به خلق، ثم انتقل لفاس وتصدر للتدريس بجامع القرويين منها، عمره الله بدوام ذكره.

هذا والفريق العلوى الذى منه المترجم يعرف بالأمرانيين نسبة إلى الأمرانى، زاوية مباركة بسجلماصة، لها حرمة عظيمة وشرف باذخ، لا ترى أحدا من أشرفها إلا توسمت فيه الصلاح والخير والنجاح، عالما بمصالح دينه ودينه، قاله فى الأنوار السنية.

ولم يزل غيرهم من فضلاء أولاد عمهم الأشراف المقتدى بهم علما وعملا، يعظمونهم ويحترمونها تعظيما واحتراما فوق ما يعظمون ويحترمون بعضهم بعضا، ويعترفون لهم بمزيد الفضل والخشية والإعراض عن زخارف الدنيا الدنية، وتلحظهم الملوك العظام بعين الإكبار والإجلال.

وأول خارج من سلجلماصة من هذه العائلة الكريمة هو الجد السادس للمترجم، وهو السيد أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد فى معية السلطان العظيم الشأن مولانا الرشيد بن الشريف، لما فر من أخيه المولى محمد فنزل بالزاوية الدلائية بعد ما استقل مولاي الرشيد بالملك، فقرأ العلم هناك، وزوجه الدلائى

وأقطعه أرضاً تسمى أفران من بلاد زيان، فاستوطنها وبها توفي وضريحه هناك مشهور لدى الخصوص والعموم.

مشيخته: أخذ عن الحاج محمد بن المدنى كنون مختصر الرهونى وهو عمدته، سمع عليه الموطأ، والصحيح، والمختصر الخليلي، والألفية، والسبكي، والسلم، والسنوسية.

وعن أبى المواهب عبد الكبير بن المجذوب الفاسى دفين شالة من رباط الفتح المتوفى فى سابع وعشرى رمضان عام أربعة وتسعين ومائتين وألف، حسبما أخبرنى بذلك حفيده السيد عبد الحفيظ، وبعد أن كتبت هذا وقفت على أنه كان فى التاريخ المذكور حيا يرزق فبيدى مكتوب من الوزير موسى بن أحمد خطاباً لأخيه السيد عبد الله بالإيصاء على المذكور لدى قفوله من الحج بتاريخ رابع عشر رمضان عام ستة وتسعين، وفى هذه السنة كانت وفاته مطعوناً بفضالة، ومنها حمل إلى شالة وعليه كانت بداية قراءة المترجم الرسالة والمرشد والهمزية وفقهية سيدى عبد القادر الفاسى والشمائل.

وعن الشيخ أحمد بن أحمد بنانى المدعو كلا التفسير، والحديث والأصول، ومختصر السعد.

وعن السيد المهدي بن محمد بن الحاج السلمى صحيح البخارى، والشمائل، والطرفة، والنصيحة الزروقية، والتحفة، والمختصر، والألفية.

وعن السيد أحمد بن أحمد الورياغلى المغنى والألفية.

وعن السيد أحمد السلوى التطوانى: البخارى، والمختصر، والتحفة، والألفية.

وعن الشيخ عبد الرحمن النابلسى المدنى لما ورد لفاس عام واحد وثمانين ومائتين وألف، وأجازه هؤلاء كلهم عامة، ونصوص إجازاتهم له بخطوط أيديهم

كلها محفوظة بمكتبتنا غير إجازة السلاوى لم أظفر بها، وأول من أجازته منهم العلامة النابلسى حسبما ذلك بخط يد المجاز المترجم آخر ورقة الإجازة عقب إمضاء المجيز .

كما أخذ عن السيد العربى بن السائح الشرقى دفين الرباط وأجازته عامة أيضا، كما ذلك بخط يده بمكتبتنا .

وعن القاضى مولاي محمد العلوى صحيح البخارى، والمختصر، والتحفة، والزقافية .

وعن ابن عبد الواحد ابن سودة المرى الألفية .

وعن مولاي عبد الملك الضرير الجرومية والألفية والتلخيص .

وعن السيد الطيب ابن كيران التلخيص .

وعن والده عن جده الطريقة الناصرية التى هى أساس أسلافه كما أخذها عن أبى عبد الله محمد بن عبد الحفيظ الدباغ المدعو بوطرشوش .

وعن أبى المواهب عبد الكبير الفاسى، وكلاهما عن جده مولاي عبد الله بسنده المذكور فى ترجمة أخ المترجم سيدى محمد، وأجازته فى تلقين أورادها لمن أرادها منه السيد محمد بن أبى بكر صاحب زاوية تامكروت وكان له الإذن العام فى التقديم من قبله .

كما أخذ بعض الأذكار عن البركة الشهير سيدى محمد بن أحمد الودغيرى المدعو الغياثى المتوفى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، المدفون بالقبب من فاس .

وعن سيدى عبد السلام البقالى حسبما وقفت على ذلك فى نص إجازته له بخطه .

الآخذون عنه: ممن أخذ عنه شيخنا العلامة المشارك الأقدع الشريف مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي قاضى مكناسة الحالى، والعلامة النبيه السيد التهامي عبابو حاجب الجلالة السلطانية اليوسفية صان المولى حماها، والسيد بدر الدين قاضى ثغر آسفى حينه، وصديقنا السيد عبد الحفيظ الفاسى وأجازة عامة بخطه، والسيد الغالى الستيسى المكناسى، والسيد التهامى بن عبد القادر المدعو الحداد المترجم آنفا، والعلامة السيد إدريس بن عمر الشامى، والعلامة الخطيب السيد محمد اللواجرى التطوانى، والعلامة القاضى السيد أحمد بن إبراهيم الرباطى، ونسابة عصره ومسنده المولى عبد الحى الكتانى، وأجاز له عامة وغيرهم من حاملى لواء التحقيق بفاس ومكناس وغيرهما.

وفاته: توفى بقرحة خرجت فى شاربته الأعلى لم يظن موته منها ولا توهم، وذلك غروب يوم السبت موفى عشرين من جمادى الأولى عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، وصلى عليه بالضريح الإدريسى ودفن برياض جوار محل سكنهم من حومة السياج قرب الزاوية الناصرية بمحروسة فاس، ومن يومئذ صار ذلك الروض روضة لدفن عائلتهم الكريمة.

وقد رثاه ابن عمنا المولى أحمد بن المأمون المذكور فى الآخذين عنه بما لفظه:

حكم المثية فى البرية جارى	تقدير رب نافذ الأقدار
ما عن ورود حياضها بد ولو	طالت بمولود مدى الأعمار
فالموت خطب ماله من دافع	معرى النفيس وملبس الأظمار
ملا القلوب مهابة فالرعب من	ه أقام فى قلب وفى أفكار
من ذا الذى يرجو البقا من بعد فق	د المصطفى خير الورى المختار

والأنبياء وصحابهم والتابعين
فالكل دون الله جل جلاله
ما فاز في الدنيا سوى حر سمت
يفنى نفيس حياته فيما يبق
يبدى النداء لمن اجتدى ويفيد من
حتى إذا زار الفنا فناءه
ود الأنام فداءه بنفوسهم
مثل الإمام المرتضى الخبر الهما
مولاي (عبد الكامل) الأسنى الذى
نجل الأئلى سادوا بملك شامخ
الناسك الأتقى المحرر علمه
جماع أشتات العلوم بذهنه
قد مات لكن عاش فينا ذكره
لله ما ضم الثرى من سيد
أسفا عليه لقد تداعى من حما
أسفا على فقدان مثله فى الورى
أسفا على من كان قبلة آمل
أسفا على خلق جميل ناله
فكأن سامع لفظه يصغى إلى

من ومن هداهم فى البرية سارى
لابد من رمس له وغبار
هماته لمكارم وفخار
فى ذكره غضا على الأعصار
قد جاء يريد العلم من أقطار
وأجاب داعى ربه الغفار
لو كان يفدى هالك بنضار
م أخ العلا والفضل والإيثار
ظهرت مكارمه ظهور منار
أهل العلا والمجد والمقدار
الحافظ الأرقى رفيع نجار
يهدى بها من ضل فى أوعار
بجميل أوصاف وحسن شعار
قد ساد بالنسب الصريح السارى
ته شاهق الأمجاد والأبرار
عز التسلى عنه بالأنظار
من جوده سيل الندى المدرار
يسليك عن أهل به وديار
ترجيع تلحين وصوت هزار

وكأن ناظر وجهه متعلل
وجه كمنبلج الصباح تخاله
لا يلتقى إلا بوجه ضاحك
لله منه مجالس كانت تق
لله منه تواضع فى رفعة
لله منه تسارع لصنائع ال
يا رحمة لذويه بعد بعاده
يا رحمة للزائرين ربوعه
من ذا يقابلهم بوجه باسم
لكن بعد الله فى إخوانه
فهم لنا من بعده نعم المعز
فالله يكسوهم من الصبر الجميد
والله يسكنه فسيح جنانه
وينيله أعلى الفرداس لابساً
لا زال قبره فى رياض ناعم
يغدو به مترفعا متقدسا
أرخ وفاته دون (حم) ولتقل

من شرب أقداح وصرف عقار
إذ ما تراه طالع الأقمار
والبشر يحسن فى ذوى الأقدار
ضى بالعلوم الباهرات لقارى
ومهابة وجلالة ووقار
خيرات يسبق نحوها ببدار
عنهم فمن لهم بطيب قرار
من صاحب أو خادم أو جار
وبسم بنواله المدرار
وبنيه خير مخلف مختار
ى فيه إذ هم سادة الأخيار
ل على مصابه سابغ الأستار
فى جيرة الأرسال والأنصار
من سندس خضر أعزّ دثار
تهمى عليه سحائب الأسرار
ويصير من علياه خير مزار
(قد نال فى أخراه عز جوار)